كلية: التربية الاساسية – حديثة

القسم: قسم التاريخ

مدرس المادة: د. حسام ابراهيم

المرحلة: الرابعة

الفصل الدراسي: الثاني

اسم المادة باللغة العربية: تاريخ العراق الاجتماعي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Course Title: Social History of Iraq

اسم المحاضرة باللغة العربية: واقع الخدمات الصحية في العراق خلال الحرب العالمية الاولى

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية: The reality of health services in Iraq during World War I

المحاضرة العاشرة/ الاوضاع الصحية في العراق فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨

عانى المجتمع العراقي من انواع مختلفة من الامراض وكان ذلك نتيجة الى جملة من العوامل يأتي في مقدمتها اسلوب التصرف في الارض حيث تكون ظروف زراعة بعض المحاصيل ولاسيما الرز بيئة ملائمة لامراض الملاريا والبلهارزيا فضلاً عن ذلك ان معظم الفلاحين يعانون من سوء التغذية وكان للاوضاع الاقتصادية السيئة نصيب في ذلك فضلاً عن ذلك الاحوال الاجتماعية المتدهورة الى جانب الجهل وانعدام طرق الوقاية وقلة الوعي الصحي فضلاً عن سوء التغذية والفقر الذي يعاني منه الكثير في المجتمع هذا من جانب ومن جانب اخر ندرة اعداد الاطباء والعاملين في مجال الصحة فضلاً عن انتشار المجاعة خلال تلك المدة التي رافقت احتلال مدينة بغداد في العام ١٩١٧ والتي كانت احد اهم الاسباب في انتشار الكوليرا وغيرها من الامراض الناتجة عن الجوع والفقر ولهذا عانى المجتمع العراقي من اوبئة وامراض معدية ومن بين تلك الامراض التي انتشرت ابان عهد الاحتلال البريطاني الكوليرا والتيفوئيد والملاريا وغيرها من الامراض.

بعدما احتلت القوات البريطانية العراق كانت العناية بالصحة العامة ونظافة المدن من وجهة النظر العسكرية البريطانية من الاحتياجات الضرورية لابقاء القوات العسكرية البريطانية بعيدة عن الامراض ولذلك افتتح مستوصف ملكي في مدينة البصرة بعد الاحتلال مباشرة وقد اتخذ وكلاء الحكام العسكريين الخطوات اللازمة لتأمين نظافة المدن وبوشر بتأسيس مستشفى ملكي في البصرة عام ١٩١٥ ثم فتحت مستوصفات اضافية في العشار وتم تعيين جراح مدني للاشراف على تلك المؤسسات فعهد اليه بشؤون الترتيبات الصحية في البصرة وكما اوليت عناية

خاصة في السجون والمساجين وان الحالات التي تتطلب معالجة بالامراض العصبية محلياً ان يتم ارسالها للهند لمعالجتها وكانت مراجعة المستوصفات اكثر مما كان منتظراً وتقبل الناس التطعيم وسائر الاحتياجات المتخذة ضد الطاعون.

وبعدما تم احتلال مدينة العمارة عام ١٩١٥ فتحت فيها مستشفى ومستوصف بإشراف طبيب بريطاني من الجيش فثبت فائدتها للناس واقبالهم عليها، كما حصل في البصرة وكذلك تم العمل في النهج ذاته في الناصرية حيث اعيرت خدمات احد الاطباء العسكريين البريطانيين الى المستشفى والمستوصف وقد حصل تقدم في الخدمات الصحية خلال عام ١٩١٦ وقد اصبحت تستخدم المراحيض وتفشت الاسواق والمحارق المجاورة وكذلك شنت حملة ناجحة على الذباب وكوفحت الامراض المعدية وبتلك الاجراءات اصبح اهتمام في الجانب الصحي امر مهم وعلى الرغم من تأسيس المستشفيات العسكرية والصيدليات البلدية غير ان الادوات الطبية المستعملة في مؤسسات العلاج ظلت بدائية وكانت خدمات الحجر الصحي قليلة الفعالية.

الواقع الصحي في البصرة

بعدما احتلت القوات البريطانية البصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ وجعلتها قاعدة عسكرية بدأت تبذل جهودها للمحافظة على سلامة جنودها من الامراض والاوبئة واعطت اهتمام كبير في مجال الصحة العامة ونظافة المدينة ومرافقها الحيوية لاسيما تزامن دخول قواتها مع حلول فصل الشتاء الذي يكثر فيه هطول الامطار، لذلك عملت سلطات الاحتلال واتخذت اجراءات سريعة في هذا المجال لتذليل تلك الصعوبات.

ونتج عن وجود القوات المحتلة اكتظاظ المدينة بالأشخاص مما ادى الى انتشار امراض متنوعة ولم تكن مشاعة من قبل مثل عدوى البعوض البلدي فايروس من جينات مستفحلة فضلاً عن انتقال الانفلونزا التي دخلت مع دخول القوات المحتلة من الهنود وغيرهم والتي سببت بوفاة اعداد كبيرة من السكان، وكذلك دخلت امراض التهاب السحايا والحمى الراجعة بين السكان بعد مجئ الامدادات والتجهيزات العسكرية من مصر وافريقيا .

ان الخدمات الصحية في مستشفى البصرة اصبحت قليلة الفائدة بالنسبة للسكان الذي كان في امس الحاجة اليها لاسيما بعد ان فرضت سلطات الاحتلال ضريبة على العلاج كما افتتحت سلطات الاحتلال ثلاث مستوصفات اخرى في عام ١٩١٥ وكذلك عملت سلطات الاحتلال على توفير اماكن حجر صحي لمعالجة افراد قواتها المصابين بالأمراض المعدية كالطاعون والجدري وغيرها من الامراض فضلاً عن انها عملت على فرض اجراءات خاصة للحجر الصحي على السفن الوافدة الا ان

بعض الاجراءات لم تمنع من تفشي الامراض المعدية وان سلطات الاحتلال قد ميزت بين افراد قواتها والمجتمع العراقي حيث ان افراد قواتها عولجوا بردهات خاصة داخل البناية في مستشفى البحرية في الوقت الذي كان فيه يعزلون المواطنين في اكواخ مجاورة للبناية الخاصة في الحجر الصحي .

كما ظهر خطر اخر يهدد المجتمع الى حد ما وهو تعاطي الافيون وكانت سلطات الاحتلال قد منعت بيع وتعاطي الافيون بين قواتها الا انها اجازت لثلاث محلات ببيعها في العشار دون ان تخصص اماكن محددة لتعاطيها وهذا اثار مشكلة لسكان الدور القريبة من المقاهي التي يتم بيع وتعاطي الافيون فيها حيث كانت العشار مركزاً تجارياً والبصرة منطقة سكنية كبيرة نسبياً وبهذا قد قسمت سلطات الاحتلال البصرة ادارياً الى قسمين رئيسيين البصرة والعشار وفيها كل قسم بمعاون الحاكم العسكري (دارسي براونلو) .

وقد انيط الى الجراح المدني نورمن سكوت مسؤولية التنظيف والخدمات الصحية في قصبتي البصرة والعشار وكان ذلك في ٣٠ كانون الاول ١٩١٤ ونتيجة لتزايد الحاجة للخدمات الصحية تم تعيين لكل قسم في المدينة ضابط صحي فأصبح الطبيب المدني مسؤولاً عن قصبة البصرة والطبيب العسكري تولى مسؤولية الطبابة في قصبة العشار ولقلة المباني الصحية في المدينة استخدمت سلطات الاحتلال عدداً من اماكن السكن وجعلتها مستشفيات لمعالجة افراد قواتهم وكان من بين تلك الدور قصر الشيخ خزعل في محلة الرباط وقصر الحاج محمود النعمة المطل على شط العرب وكان من ضمن خطة دائرة الصحة المدنية فتح عدد من المستشفيات والمستوصفات في كل مركز لواء بواقع مستشفى واحدة ومستوصفات لكل قضاء وناحية ويتم ادارة تلك المستشفيات اطباء عسكريون من قوات الاحتلال البريطاني اما دائرة المستوصفات انيطت مهمتها الى مساعدي اطباء هنود .

على الرغم من اجراءات الحجر الصحي التي اتبعتها سلطات الاحتلال البريطانية ظهرت (١١١) اصابة بالطاعون في عام ١٩١٥ فضلاً عن انتشار مرض التهاب السحايا والحمى الراجعة الملاريا وامراض اخرى .

بدأت سلطات الاحتلال تفرض ضرائب نقدية على العلاج منذ منتصف عام ١٩١٧ وهذا اثر على عدد المواطنين الذين يراجعون تلك المستوصفات وعلى المجتمع العراقي، وكان مقدار الضريبة المفروضة على العلاج ثلاثة روبيات وفي نهاية عهد الاحتلال عام ١٩١٨ انتشر مرض الملاريا في قضاء قلعة صالح وتفشى مرض الطاعون في القضاء فعملت سلطات الاحتلال على اخلاء المناطق من السكان الا ان الكثير من الاهالي رفضوا التطعيم او مغادرة مساكنهم كما عملت على بعض الاعمال الصحية والوقائية والاهتمام بالنظافة الجماعية كون ان الجنود البريطانيين واجهوا ظروف صحية صعبة غير مألوفة لديهم مثل امراض سوء

التغذية وضربة الشمس وان هذا الاهتمام في الجانب الصحي الذي كان لخدمتهم استفاد منه المجتمع العراقي وساهمت بعض الشئ في رفع المستوى الصحي في البلاد.

الاوضاع الصحية في بغداد

بعد ان احتلت بريطانيا بغداد انتقلت سلطات الاحتلال من مرحلة تقديم الخدمات الصحية الى مرحلة الاهتمام بتنظيم الادارة الصحية والغرض تنظيم عمل الخدمات الصحية تأسست في الجيش البريطاني ادارة للصحة المدنية والتي اسندت مسؤولية تأسيسها وادارتها الى الكولونيل باتي الذي عين رئيساً ادارياً للقسم الطبي المدني وعملت السلطة المحتلة على ترميم مستشفى الغرباء وبعد ترميمه قامت سلطات الاحتلال البريطاني بافتتاحه بعد احتلال المدينة بخمسة اشهر اي انه افتتح في اب ١٩١٧ وسمي بأسم المستشفى المدني وخصص هذا المستشفى لعلاج الامراض النسائية والاطفال واشار تقرير بريطاني "ان المستشفى المدنية قد نهب من قبل السكان فقد سرقت الابواب والنوافذ وحتى الاشجار في الحديقة قطعت وقد شرعت السلطة بعمل الترميمات للمستشفى وعين فيه ممرضات فرنسيات" فضلاً عن ذلك افتتحت مستشفيات اخرى بعد الاحتلال منها المستشفى الجديد الذي فتحت ابوابه امام المرضى والمصابين في اذار ١٩١٨ .

ويروي الطبيب العسكري شارل باربر حول الجانب الصحي في بغداد قائلاً "امضينا انا وباقي الاسرى في ثكنه الخيالة بعدها تم نقل الجميع الى محطة القطار وجرى تسفيرهم الى الاستانة باستثناء اربعة من الاطباء ومن ضمنهم انا وبعد ذلك تم تحويل الاطباء الى منطقة سكن اخرى بهدف العمل في المستشفيات العثمانية في بغداد .

وانتشرت في بغداد خلال تلك المدة التي رافقت الاحتلال البريطاني للمدينة العديد من الامراض منها امراض الجدري والتي قدرت عدد الاصابات بهذا المرض (٤٧٣) اصابه خلال العام ١٩١٨ ومرض الحصبة التي قدرت عدد اصاباتها في العام ذاته (١٥٢) اصابه ومرض التيفوئيد وكانت عدد اصاباته (٩٧) خلال العام ١٩١٨ فضلاً عن انتشار انواع اخرى من الامراض ومنها الكوليرا وجدري الماء والحمى القرمزية والطاعون وتراوحت اصابات تلك الامراض بين (٤ – ٢٠) اصابة .

وهناك اسباب عديدة جعلت العراق بؤرة للامراض فمن ضمن العوامل التي ساعدت على انتشار الامراض منها انعدام الوعي الصحي لدى السكان وعدم تقبل فكرة التطعيم ضد الامراض فضلاً عن الزخم السكاني اذ كان هناك اكثر من عائلة تسكن في بيت واحد الى جانب ذلك وقوع العراق على طرق المواصلات جعلها عرضة

للامراض الوافدة بسبب قوافل الزوار الاجانب للعتبات المقدسة او للحج والقوافل التجارية التي تخص نقل البضائع التجارية فضلاً عن ذلك نقل جثث الموتى الى النجف وكربلاء والتي تعد مصدر مهم لانتشار الامراض خلال المدة التي خلفت عهد الاحتلال .

يروي الطبيب شارل باربر عن الوضع الصحي كيف كان بعض الاطباء العثمانيون يعاملون المرضى والجرحى في المستشفيات التركية في بغداد قائلاً "ان معظم الاطباء الاتراك غير متعاطفين في سلوكهم مع مرضاهم واظهروا خشونة في معاملتهم وعملهم بشكل عام" كان في بغداد مستشفى مليئة بالجرحى العثمانيون بسبب الحرب التي دارت بين الجانبين العثماني والبريطاني وتلك المستشفى كان موقعها قرب باب المعظم في ثكنه المدفعية ويدير تلك المستشفى جمعية الهلال الاحمر العثمانية وكان كبير الجراحين في تلك المستشفى يدعى كنعان بيك وكان من الجراحين الجيدين نال تعليمه في باريس قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى .

الاوضاع الصحية في الموصل

ان سلطات الاحتلال عندما واصلت تقدمها لاستكمال احتلال البلاد بالكامل حتى تمكنت من ذلك في اواخر عام ١٩١٨ وبعد ان فرضت سيطرتها على الموصل استمرت في عملها كما عملت في الولايتين الوسطى والجنوبية فقد اهتمت بالجانب الصحي فعملت على توسيع مستشفى الهلال الاحمر الذي يرجع انشاءه للعهد العثماني واصبح مستشفى مدني فيه قاعات للنساء والرجال ووضع فيه جراح مدني وكان الى جانبه مساعد طبيب بريطاني ورئيسة ممرضات مع مساعدات اثنين بريطانيين وعدد من الممرضات الارمنيات فضلاً عن ذلك يوجد في المستشفى ثلاث اطباء من اهالي الموصل والى جانب المستشفى فتحت العديد من المستوصفات في جميع مراكز الاقضية التابعة لولاية الموصل وكما هو الحال بقية الولايات فأن مرض الملاريا يعد اكثر المشكلات الطبية خطورة في الجهات الجبلية اذ تعرض بعض السكان في تلك المناطق الجبلية تعرضاً مخيفاً وكانت نسبة الوفيات في الفئات العمرية الصغيرة من الاطفال كبيرة بنسبة غير اعتيادية اذ تعذر الحصول على احصائيات بأعداد المصابين واعداد الوفيات التي لحقت بالسكان جراء مرض الملاريا في تلك المناطق ونتيجة خطورة المرض حتى ان السلطات العثمانية كانت تعطي الكينين مجاناً كتدبير من التدابير الصحية .